دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الأسلوب والإحصاء
المؤلف الرئيسي:	كريم، المختار
مؤلفين آخرين:	الطرابلسي، محمد الهادي(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2003
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 585
رقم MD:	692267
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة منوبة
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	اللغة العربية، الأدب العربى، الأسلوب، الإحصاء
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/692267

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

جـــامـــعـــة مـــنوبـــة
كـــلـــيـــة الآداب

الأسلوب والإحصاء

بحث لنيل شهادة دكتورا الدولة

إعداد: المختار كريّم

إشراف: الأستاذ محمّد الهادي الطرابلسي

تـونـس 2003

فهرس المحتوى

المقدّمة..... 1

I
القسم النظري

الفصل الأوّل: في مفهوم الأسلوب

I ـ مدحل..... 13

II ــ مقاربات نصيّة وقضاياها المنهجية..... 17

III ــ في مؤسِّسات الأسلوب في اللغة:..... 33

III ـ 1 ـ اللغة قيد آراء . . . . . 33.

III ـ 2 ـ في وحوه الحرّية اللعوية 35

III ـ 3 ـ هل اللغة قيد؟ مآتي التهمة 55

IV ــ الأسلوب اختيارا وما يثيره من قضاياه.. 58

IV ـ 1 ـ الأسلوب احتيارا 58

IV ـ 2 ـ قصايا الأسلوب احتيارا 62

IV ـ 2 ـ 1 ـ مفهوم الاحتيار 62

IV ـ 3 ـ 2 ـ الوعي/اللاوعي أو الاحتيار والصدفة 64

IV ـ 4 ـ 3 ـ الاحتيار اللاعي .. 74

IV ـ 5 ـ 4 ـ الاحتيار الأسلوبي 77

IV ـ 6 ـ 5 ـ الاحتيار والتفرد أو الحدّة في عملية الإبداع 83

IV ـ 7 ـ 6 ـ الاحتيار والسنّة أو الأنموذج 87

V ــ الروافد النظرية المكوّنة لمفهوم الأسلوب..... 89

V ـ 1 ـ البدايات..... 89

V ـ 2 ـ المجهود التطيري العربي 95

V ـ 2 ـ 1 ـ اس طاطا 95

V ـ 2 ـ 2 ـ حارم القرطاحي 96

V ـ 2 ـ 3 ـ اس رشيق القيرواني 97

V ـ 2 ـ 4 ـ اس حلدود 99

V ـ 3 ـ المجهود التطيري العربي أو مآل التصوّر الحلدوبي في تاريخ البحت.. 114

V ـ 3 ـ 1 ـ تصوّر لويس يلمسلاف وأتره في البحث الأسلوبي 114

V ـ 3 ـ 2 ـ تصوّر عوستاف هردد أو التصوّر الحلدوبي اليلمسلافي من منظور إحصائي 120

V - 3 - 4 - تصوّر دولوحيل ومكملات النظرية التوليدية التحويلية 124
V - 3 - 5 - تصوّر حيل قاستون قراشي 128
V- 3 - 5 - 1 - الأسلوب مقولة شكلية عامّة 129
V- 3 - 5 - 2 - الأسلوب في اللسان البشري 132
V- 3 - 5 - 3 - الأسلوب في اللغة 134
V- 3 - 5 - 3 - الأسلوب وتعرّد النص 137
V- 3 - 5 - 4 - الأسلوب والجمالية 138
V- 3 - 5 - 5 - تقاطع قراشي مع تصوّرات سابقة عليه 141
V- 3 - 5 - 6 - أثر قراشي في البحث الأسلوبي 142
V- 3 - 6 - تصوّر نقاد الأدب والمدعين شيترر وإليوت مثالا 144
V- 6 - 5 - 1 - شيترر 144
V- 6 - 5 - 2 - إليوت 145

الفصل الثاني: الأسلوب، مسالك تأثّره بالإحصاء

I ــ مسالك تأثر الأسلوب بالإحصاء في البحث الغربي المعاصر..... 149

I - 1 - مدحل . .. . 150 . . ..
I - 2 - الرّوّاد 151
I - 3 - المرحلة الثانية المرحلة الكلاسيكية 158
I - 4 - المرحلة الثالثة: الأسلوب والحاسوب. . ... 163...

II ــ مسالك تأثر الأسلوب بالإحصاء في البحث العربي المعاصر..... 167

II - 1 - الأدوات الإحصائيّة الأولى في البحوث الجامعية: *حصائص الأسلوب في الشوقيات والإيقاع في السجع العربي؛ محاولة تحديد وتحليل*. . ... 168.
II - 1 - 1 - *حصائص الأسلوب في الشوقيات* والبرعة اللسانية التطبيقية ... 168
II - 1 - 2 - *الإيقاع في السجع العربي*، والبرعة الإحصائية . .. 172
II - 2 - سعد مصلوح والأسلوبيّة الإحصائية.. .... 177...
II - 2 - 1 - سعد مصلوح والخطاب النقدي 178
II - 2 - 2 - نظرة في أعمال سعد مصلوح الأسلوبيّة الإحصائيّة . 181
II - 2 - 2 - 1 - تمايز الأساليب باختلاف قيمة نسبة الأفعال للصفات (د ف ص) 181
II - 2 - 2 - 1 - أ - كلمة في المصطلح 184
II - 2 - 2 - 1 - ب - كلمة في المقياس واستعلاله 186
II - 2 - 2 - 2 - تكميم الاستعارة 187
II - 2 - 2 - 2 - أ - كلمة في المصطلح والتصنيف 188
II - 2 - 2 - 2 - ب - كلمة في المقياس 191
II - 2 - 2 - 3 - قياس خاصّية تنوّع المفردات في الأسلوب 191
II - 2 - 2 - 3 - أ - تقديم البحث 191
II - 2 - 2 - 3 - ب - رأي في العمل وفي الطريقة 193

II - 2 - 2 - 4 - تحقيق نسبة النص إلى المؤلف 196
II - 2 - 2 - 4 - أ - تقديم العمل 196
II - 2 - 2 - 4 - ب - كلمة في البحث 198
II - 2 - 2 - 5 - الخطاب النقدي في ميزان التقويم الأسلوبي الإحصائي 202
II - 3 - 3 - 5 - ا - تقديم العمل 202
II - 3 - 3 - 5 - ب - كلمة في البحث 203
ملاحظات ختامية..... 205

الفصل الثالث: الأسلوب؛ مقوّماته اللغوية وتراتبيّتها الشكلية ومناهجه الإحصائيّة عند لأسلوبيين الإحصائيين

I — مستوى المقطع..... 210
I - 1 - تصوّر ولهالم فوكس 210
I - 2 - رأي في عمل فوكس 217

II — مستوى الكلمة: الإحصاء المعجمي وقضاياه..... 219
II - 1 - مفهوم الإحصاء المعجمي 219
II - 2 - معايير الإحصاء المعجمي.. 220
II - 2 - 1 - مفهوم الكلمة 220
II - 2 - 1 - 1 - الكلمة في احساس النّاطقين 220
II - 2 - 1 - 2 - الكلمة بين عموض المفهوم وحاجة الاستعمال 221
II - 2 - 1 - 3 - تعايش المفاهيم 223
II - 2 - 1 - 4 - الكلمة بين عيوب أنظمة الخط وريبة اللساني 229
II - 2 - 1 - 5 - الوحدة الداخلية للكلمة 236
II - 2 - 2 - في وُرود الكلمة وترددها 242
II - 3 - الكلمة بين البحث اللساني والبحث الأسلوبي الإحصائيين. 249
II - 4 - الإحصاء المعجمي: مناهجه الإحصائيّة 252
II - 4 - 1 - وضع الجدول التوزيعي للكلم والعمليات الرياضية الأولى 252
II - 4 - 2 - الحصيصة ڤ 258
II - 4 - 3 - كلمة في الثروة المعجمية ومقاييسها 261
II - 4 - 3 - 1 - الثروة المعجمية 261
II - 4 - 3 - 2 - الصيغ الرياضية المقترحة لقيس الثروة المعجمية 262

III — مستوى الضميمة..... 265
III - 1 - كلمة في المصطلح 265
III - 2 - في مفهوم الضميمة 266
III - 3 - إشارة إلى الضميمة في البحث العربي القديم .. 267
III - 4 - إشارة إلى الضميمة في البحث العربي. 268

III ـ 5 ـ صلة الصميمة بالأسلوب بين التفرد والتنويع... 272
III ـ 6 ـ اعتماد الصمائم في الدراسة الأسلوبية الإحصائية.... 272

IV ــ مستوى الجملة؛ أو الأسلوب في بوتقة النظريات اللسانية..... 274

IV ـ 1 ـ الأسلوب واللسانيات التوليدية التحويلية 274
IV ـ 1 ـ 1 ـ تبني نظرية تشومسكي 279
IV ـ 1 ـ 2 ـ إخضاع أسلوبية تحويلات الجملة للمنهج الإحصائي تجربة كورتيس 282
IV ـ 1 ـ 3 ـ كلمة في المستند النظري 288
IV ـ 2 ـ الأسلوب واللسانيات الوظيفية 292
IV ـ 2 ـ 1 ـ مفهوم الأسلوب عند كوبراد 293
IV ـ 2 ـ 2 ـ في بنية الجملة من منظور وظيفي 295
IV ـ 2 ـ 3 ـ الاستغلال الأسلوبي للتحليل النحوي 302
IV ـ 2 ـ 4 ـ الجهاز الإحصائي المعتمد 307

الفصل الرابع: تأصيل المنهج الرياضي الأسلوبي في التراث العربي

I ــ المنهج الرياضي الإحصائي في العروض..... 314

I ـ 1 ـ الشعر في عيار العروض. 315
I ـ 2 ـ الورن الشعريّ 315
I ـ 3 ـ منهج الخليل في وضع العروض العربية 316
I ـ 4 ـ في وجاهة النظرية الخليلية..... 320
I ـ 5 ـ صلة العروض بدراسة خصوصية حسني القول النثر والشعر. 333

II ــ المنهج الرياضي الإحصائي في المعجم والفصاحة العربيّة 334

II ـ 1 ـ في مفهوم اللغة 334
II ـ 2 ـ منهج التوارد في ضبط اللغة 334
II ـ 3 ـ المأزق وحلّه 336
II ـ 3 ـ 1 ـ صور المنهج الخليلي في عيون دارسيه 336
II ـ 3 ـ 2 ـ منهج الخليل كما نراه 341
II ـ 3 ـ 2 ـ 1 ـ مفهوم المجموعة والتوافقية 341
II ـ 3 ـ 2 ـ 2 ـ رياضة التوافقية كما مارسها الخليل 346
II ـ 3 ـ 2 ـ 4 ـ نظرة في النموذج الخليلي 356
II ـ 4 ـ في طبيعة اللغة وصلة *العين* بالإحصاء 357
II ـ 5 ـ أثر *العين* في منحى الفصاحة 360

II - 6 - مواصلة الجهد الحليلي 362

II

القسم التطبيقي

الفصل الأوّل: مراجعات وتأسيس

I — من البحث العروضي إلى البحث الأسلوبي.....370

I - 1 - تفاصل الأوراد في قول الشعر 370

I - 2 - الحركة والسكون مؤشّرين لفنّي القول، النثر والشعر 372

I - 2 - 1 - النثر 375

I - 2 - 1 - 1 - القرآن ليس شعرا 375

I - 2 - 1 - 2 - القرآن والنثر قولان من جنس واحد 377

I - 2 - 1 - 3 - عيّنات القرآن وعيّنات النثر أقوال من جنس واحد مختلفة أسلوبا 382

I - 2 - 2 - الشعر . 384

I - 2 - 2 - 1 - خصوصيات توزيع الفئات القيسية في الشعر 384

I - 2 - 2 - 1 - أ - الجداول الإحصائية 384

I - 2 - 2 - 1 - ب - تحليل الجداول الإحصائية 389

I - 3 - المقياس والتفرّد الأسلوبي 397

II — من البحث المعجمي إلى البحث البلاغي والأسلوبي.....406

II - 1 - تذكير بمرصية السكي ... .406

II - 2 - نقائض السكي ومراجعة نتائجه 406

II - 2 - 1 - مأخذ منهجيّ 406

II - 2 - 2 - مراجعة الأحكام . 407

II - 2 - 2 - 1 - الترتيب التفاضلي والانحدارية دون طفرة، المراجعة الأولى وأدواتها 407

II - 2 - 2 - 2 - تعميق النظر في مرصيات السكي وإثراؤها 410

II - 3 - شروط الفصاحة ومبادئها في ميزان الاستعمال العملي . 417.

II - 3 - 1 - الجدول التوزيعي للاستعمال تحليل شكلي 420
II - 3 - 2 - الجدول التوزيعي للاستعمال التحليل المضموني والسنة الأسلوبية 424
II - 4 - مستتبعات الفصاحة حيوية التوليد المعجمي وحيويّة الاستعمال أو موطن الأسلوب.. ... 431

الفصل الثاني: بنية الشعر الجاهلي المعجمية الإحصائية

I ــ القاعدة الإحصائية المعتمدة.. 440
I - 1 - إعداد العيّنة في شكل قاعدة بيانية على الورق 440
I - 2 - تصوّر صيغة إحصائية عامّة قابلة للاستثمار المتعدد المقاصد وإجراؤها على برنامج إكسيل Excel .0.5.... 444
II ــ بنية الشعر الجاهليّ المعجميّة ساكنة.. 447
II - 1 - كأس الشعر الجاهلي: نظرات في المزيج المعجمي 447
II - 2 - 1 - نظرة أولى . 450
II - 2 - 2 - نظرة ثانية 551
II - 2 - 3 - نظرة ثالثة 553
II - 2 - نظامية البنية في العلاقة بين الأصول واستعمالاتها............. 462
II - 2 - 1 - مدخل 462
II - 2 - 2 - الأصول المعنوية والكلم في مجموعة الأفراد ومجموعة المشترك: تشخيص لطبيعة العلاقة . . 463
II - 2 - 3 - في شروط البنية النظامية 468
II - 2 - 4 - في طبيعة مكوّنات المجموعات الفرعيّة ودرجات تجانسها . . 472
II - 2 - 4 - 1 - عرض الجداول التوزيعية 473
أ - جدول المجموعة الأمّ وخصائصه 473
ب - الجداول التوزيعية للمجموعات الفرعيّة 466
II - 2 - 4 - 2 - تحليل النزعات المتحكّمة في الجداول التوزيعية الفرعية 484
II - 2 - 5 - تشخيص وظائف المجموعات الفرعيّة بحساب الكم الإخباري وعلاقة ذلك بالبنية 487
II - 2 - 5 - 1 - مبادئ نظرية الإخبار 487
II - 2 - 5 - 2 - إجراء نظرية الإخبار على مدوّنة الشعر الجاهلي 489
II - 2 - 6 - في أسباب التنوع الوظيفي داخل مكوّنات البنية 492
II - 2 - 6 - 1 - مكوّنات الإنشاء 492
أ - القول وتوابعه 493
ب - حاسة العين 493
ج - الإدراك الذهني 493
د - إطار الفعل الزماني والمكاني . 493
• الزمان 493
• المكان 493
II - 2 - 6 - 2 - مادّة الإنشاء (أقطاب الاهتمام) 494

أ ـ علاقات الانتماء 494
ب ـ مجمع المحامد 495
ح ـ الحرب وأدواتها وقيمها 495
د ـ القلب، مسراته وهمومه والحسم؛ ملذّاته وحدوده 496

III ــ بنية الشعر الجاهلي المعجمية من منظور حركي..... 502

III ـ 1 ـ في وصعيات التردد الحركية وعلاقتها بالسية 502

III ـ 2 ـ مشهد بعض الترددات الكبرى الحركي ودورها في تحقيق السية . .. 502

III ـ 2 ـ 1 ـ الإعداد للتحرية 503

III ـ 2 ـ 2 ـ المشاهد الحركية لمداحل الإنشاء وتحليلها 504

III ـ 2 ـ 2 ـ 1 ـ المشاهد 504

III ـ 2 ـ 2 ـ 2 ـ التحليل 506

III ـ 2 ـ 3 ـ المشاهد الحركية لمواد الإنشاء وتحليلها 508

III ـ 2 ـ 3 ـ 1 ـ المشاهد 508

III ـ 2 ـ 3 ـ 2 ـ التحليل 510

الفصل الثالث: في الخصوصيات الفردية وقيسها

I ــ التفرّد في إطار البنية الواحدة..... 513

I ـ 1 ـ مدحل 513

I ـ 2 ـ المهج الإحصائي في تقدير الحصوصية الفردية في ما أشترك فيه 513

I ـ 2 ـ 1 ـ تطبيق المهج الإحصائي في تشحيص الحصوصيات الفردية 518

I ـ 2 ـ 1 ـ 1 حصوصيات الشعراء في المداحل الإنشائية..... 518

I ـ 2 ـ 1 ـ 1 ـ أ ـ المدحل الإنشائي رأى ومعوصاتها 518

I ـ 2 ـ 1 ـ 2 ـ ب ـ المدحل الإنشائي قال ومعوّصاتها 520

I ـ 2 ـ 1 ـ 3 ـ ح ـ المدحل الإنشائي علم ومعوّصاتها 510

I ـ 2 ـ 1 ـ 2 ـ حصوصيات الشعراء في أقطاب الاهتمام أو في المحال العرصي. 525

I ـ 2 ـ 1 ـ 2 ـ أ ـ الانتماء 525

I ـ 2 ـ 1 ـ 2 ـ ب ـ مجمع المحامد 527

I ـ 2 ـ 1 ـ 2 ـ ح ـ الحرب وأدواتها وقيمها 529

I ـ 2 ـ 1 ـ 4 ـ د ـ القلب ومشاعله 531

حلاصة..... 532

1 ـ التهد العام لمداحل الإنشاء 533

2 ـ المشهد العام لأقطاب الاهتمام 534

II ــ الثروة المعجمية..... 538

II ـ 1 ـ مدحل.. 538

II ـ 2 ـ تطبيق المقاييس 538

II ـ 2 ـ 1 مقياس يول الحصيصة ℍ 538

II - 2 - 2 - مقياس قيرو ... 542
II - 2 - 3 - مقياس هردد 544
II - 2 - 4 - مهحنا في قياس النروة المعحمية 545
الـــخـــــاتـــــمـــــة الـــعـــامـــــة.....555

فهرس الأعلام 563
المصادر والمراجع.....578
I - العربية.....578
II - الأجنبية.....580

المقدّمة

الأسلوب والإحصاء هو عنوان بحثنا وموضوعه. وهو بصيغته هذه مفتوح المقاصد متعدد المداخل يمكن أن تطرح أسئلة عديدة صالحة لأن تكون مجالا للنظر فيه: كيف يمكن أن يستفيد دارس الأسلوب من استعمال الإحصاء؟ ما أثر علم الأسلوب في الإحصاء؟ ما هي ضروب التّطبيقات التي يوفرها الأسلوب للإحصاء؟ ما هي مختلف تجليات العلاقة بين الأسلوب والإحصاء منذ نشأتها إلى اليوم؟

ولكنّ المقاصد مهما تنوعت فإنّها - في نظرنا - تجتمع في أمر وهو كونها **بحثا في علاقـــة** بين طرفين. أوّلهما مركز الثقل في النظر والثاني منهج يُعتمد بقدر حاجة الطرف الأوّل أو بقدر ما تسمح به طبيعته وفي ضوء ما حصل فعلا من روابط بين الطرفين خلال سيرورة زمنية معيّنة. فيصير البحث حينئذ في طبيعة الأسلوب وحاجتِه للإحصاء وما أفاده فعلا منه. لذلك سمّينا بحثنا معتبرين العنصر الأول الوارد في العنوان (الأسلوب) المرجع ومركز النظر وأنّه بسبب طبيعته وخدمةً لها ينظر في الطرف الثاني (الإحصاء) لا قصد تبيّن حقيقة هذا الطرف الثاني في ذاته ولكن قصد التوسل به لتبيّن العنصر الأول ودراسته بطريقة أنجع. وعلى خلاف ذلك فإنّ العنصر الأول يتناول لذاته لتبيّن كنهه وتجلياته.

فموضوعنا يرجع إلى بحث في علاقة. ولكنّ النظر في هذه العلاقة قد يحصل من روايا متعددة: من زاوية تاريخية أو من زاوية نظرية أو من زاوية تطبيقية أو مما ينجم عن الجمع بين اثنتين من هذه الروايا أو أكثر من روايا متزاكبة كالجمع بين الشق النظري والشق التطبيقي أو التاريخي التطبيقي.

هذه العناصر أو العلامات أو الأمارات كونت لنا إطار النظر الأول العام الذي يمكن أن يصمد أمام تعدد المقاربات في البحث. والمقاربات تبني عادة على نوايا الباحث وهو عازم على مباشرة بحثه من جهة وعلى ما يوفره التدرج في بحثه من معطيات تتدعم بها تلك النوايا أو تعدل أو يطوى عنها صفحا من جهة ثانية.

وقد تبيّنا في مرحلة أولى من بحثنا أن الأسلوب والإحصاء هما موضوع وأداة أو موضوع ومنهج جمعهما التاريخ منذ القرن التاسع عشر في التطور المعرفي في الميدان اللغوي ثم صار يلحظهما المطلع منذ سنة 1944 في مؤلفات مستقلة من قبيل *الدراسة الإحصائية للألفاظ الأدبية*[1]، و *الخصائص الإحصائية للكلم* (1954)[2]، *فاللغة باعتبارها اختيارا وصدفة* (1956)[3]، ثم *اللسانيات الإحصائية* (1964)[4]، ثم *النظرية المتطورة للغة باعتبارها اختيارا وصدفة* (1966)[5] وقبل هذه العناوين وخلال فترة صدورها وبعدها يجد الدارس بحوثا

---

[1] Yule (U), *The Statistical Study of literary vocabulary*

[2] Guiraud (Pierre), *Les Caractères Statistiques du Vocabulaire*

[3] Herdan (Gustav), *Language as Choice and Chance*

[4] Herdan (Gustav), *Quantitative Linguistics*

[5] Herdan (Gustav), *The Advanced theory of Language as Choice and Chance*

كثيرة كانت تصدر في المحلاّت العلمية تؤسس - إن مباشرة أو ضمنا - للعلاقة بين الإحصاء والبحث في الأسلوب وترسخها؛ وفعلا فإنه ما إن دخلنا عقد الستّينيات من القرن العشرين حتى تنوعت هذه الخِلطة بين العلمين وتعمقت لدرجة صارت تسمح للباحث أن يجعلها موضوعا للدّراسة.

وتجلّت لنا خلال هذه المرحلة من البحث جملة أخرى من العلامات تريد موضوعنا ضبطا بفصله عما قد يشتبه به من المواضيع. فهو ليس "الأسلوبية والإحصاء" إذ أنّ البحوث العربية غالبا ما تنزلق من الحديث عن موضوع العلم إلى العلم ولذلك لم يخط الأسلوب في غالب البحوث بالنظر المعمق فالأسلوبية ليست غرضا في بحثنا هذا بل لعل مصطلح أسلوبية هو المصدر الأوّل لإشكال المفاهيم واختلاطها.

مركز النظر في بحثنا إذن ليس العلم وإنّما موضوعه وهو الأسلوب أي ما يمثّل في القول أو النّص خصائص أجناس القول أو النصوص، خصائص الجنس سكرونيا وخصائصه في مراحل الزمن المتوالية إن خطي بالتعمير وخصائص كلام المنشئين الأفراد فيه. وإزاء هذا الموضوع نجد الإحصاء وهو علمٌ أداة أو هو **العلم المنشئ للعلوم** إذ هو علم عام يتّخذ شكل المنهج يعتني بوضع قوانين لمعالجة الظّواهر المعقّدة التي يعسر تبيّن نظامها بمجرّد التصنيف والترتيب وهو ينطلق من تنظيم الملاحظات والبحث عن النّزعات المركزية ونزعات التّشتت فيها ليرتقي إلى المعرفة العقلية المجرّدة للظاهرة بالكشف عن قوانينها الخفية. فنجد إزاء مادّة للدرس وأداة للمعالجة. وقد استعملت هذه الأداة في موضوع الأسلوب استعمالات متنوّعة بدرجات متفاوتة في العمق. وعلى هذا الأساس فإنّ أيّ معالجة للأسلوب يُقصد منها تبيّن خصائص الكلام أو النّص معتمدة الكمّ حتّى في أبسط مظاهره تستحقّ منا النظر والتّقويم لأنّ تلك المعالجات ضروب من الإحصاء لكونها تقيم العدد مقام المعدود تمّ لكونها تستعمله أداة لاستجراح الخصائص الأسلوبية أو للاستدلال على فرضيات أو للتثبّت من انطباعات عامّة أو أحكام مسبقة على ملاحظات جزئية. وقد ذهب الإحصائي الإنقليزي جورج يول [6] إلى أنّ إحصاء كلم المزورات (Masoretes)[7] وهي السّنة اليهودية هو إحصاء أدبي وإنْ لم يكن القصد منه سوى أن يعرف النّساخ مدى ما نسخوا منها لحساب مستحقّاتهم.[8] وذهب بعده هردن في كتابه *اللغة باعتبارها اختيارا وصدفة* إلى أنّ عمليات تسجيل الظّواهر اللغوية وتصنيفها هي "درجة من درجات التّصنيف الإحصائي"[9] بل إنّه رأى أنّ إعداد معجم لغة معيّنة يمثّل تمثيلا واضحا "مجهودا إحصائيا عظيما"[10] وإذا كان

---

[6] G U Yule, 1944, p 7&8

[7] يعلّق يول بقوله

« The name 'Masoretes' is derived from the Hebrew word Masora, in the sense of 'tradition' p 7

[8] للعرب تجربة مماثلة فقد ذكر في كتاب *المباني في نظم المعاني* "أن الحجاج بن يوسف جمع القرّاء والكتبة فعدّوا له جميع آي القرآن وكلامه وحروفه" عن محمّد العمري 1990 ص 101

[9] هردن 1956 ص1

[10] نفسه

هدا تقديرهما فإنّ الأعمال التي نقصدها بالنظر في بحثنا هي بالإحصاء أحدر إد أنّ أصحابها يحصـون الظواهـر ويحدّولونها ويبحثون فيها عن النّسب المائوية ويقارنون بين النتائج ولكنّهم لا يرعمون أنهم يتبنّون الإحصـاء أداة. وقد اعتبر سعد مصلوح "أن كثيرا من الدّراسات والرّسـائل الجامعيـة الـتي اعتمـدت الوسـيلة الإحصائيـة لمعالجة النّصوص، لا سيما نصوص الأدب لم تأحد من الإحصاء إلاّ وطيفتـه البدائيـة الأولى ونعـني بـها وطيفـة العدّ والحصر counting وهده الوطيفة ـ وإن كانت من أساسيات العمل الإحصائي ـ ليست إحصـاء بالمفـهوم العلمي المتبع"[11]. وهدا أمر صحيح. وقد اعتبرته برونو أنياس مارغريت الدّرجة الأولى من المتغيّرات الإحصائية وأشارت إلى أنّه "يُتحصّل عليه بمجرّد استكشاف نصّ من النّصوص والعدّ. وهـو تلـك الأعـداد الـتي تحسـب مباشرة من حصائص العناصر النّصيّة الأساسية نفسها"[12] ولدلك فإنّه يمكن اعتبار هذه العمليـات علـى هـامش علم الإحصاء. ولكنّ الأعمال التي استَخدمَ فيـها أصحابـها بدكـاءٍ التّواتـر المطلـق والنسـبي والمعـدّل الحسـابي وقارنوا بين تلك النّسب وانتهوا إلى نتائج مفيدة في البحث في الأسلوب هي في رأينا من الأعمـال الإحصائيـة. والعمليات المجراة فيها تدخل في الدرجة الثانية من الإحصاء وهي تتأسس كما جاء في عبارة مارغاريت "علـى الدّرجة الأولى من إحصاء المتغيّرات وإن كانت تعكس تجريدا رياضيا إد تجرى بها عمليات رياضيـة معقّـدة"[13] ثمّ إنّ الإحصاء عرّف فيما عرّف به أنّه "علم المتوسطات"[14] والمتوسطات هي أوّل العمليات الرّياضية البسـيطة التي تلي جمع الملاحظـات حسـب بعـض المتغيّرات المرسـومة وترتيبـها وهـي مفيـدة جـدّا إدا أحسـن الـدّارس استعمالها باستخلاص كلّ ما يمكن أن تبوح به من حصائص الظّاهرة المدروسة. ولدلك فـإنّ "وظيفـة العـدّ أو الحصر" التي دكرها سعد مصلوح لها غايات. أمّا إدا ظهرت في عمل دون أن يسـعى بـها صاحبـها إلى تحقيـق نتائج فلا شكّ في أنّها بقيت ولا مكان لها في "الدّراسات والرّسائل الجامعيّـة". ولهـدا فإنّنـا نقيـم اعتبـارا لهـده الإحصاءات لأنّها تتنزّل منزلة وسطى من استغلال المنهج الإحصائي وبدلـك فـهي تدخـل في صميـم متناولنـا وقد قيّم بايلي (Bailey) عملا من هدا الصنف وهو ما قامت به حوريمين مايلر (Miss Josephine Miles) وقد اعتبت فيه "بالأسلوب المنوال والمادح المفضّلة للحملـة لكـلّ فـترة مـن فـترات الأدب الإنقليزي والأمريكـي الكبرى"[15] فعدّ أعمالها "دات قيمة في الأفقين الآني والزّماني"[16] وجعلها ضمن الأعمال الأسـلوبيّة الإحصائيـة

---

[11] سعد مصلوح، *في النّص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية*، حدّة، 1991 ص 56

[12] Bruno Agnes Margaret, *Compositional Heterogeneity in the 'Nebellungenlied' Toward a Quantitative Methodology for Stylistic Analysis*, 1971, p 19

[13] نفسه

[14] Henri Guitton, *Statistique*, France, 1971, p 128 , (نقل قيطّن هده الفكرة عن الإحصائي الإنقليزي باولي (Bowly) ليقفل بها القسم الأوّل من كتابه هدا بعد أن وضّح دور المعدّلات أو مقاييس النّزعة المركزية توضيحا صافيا وقدجعل هدا الحكم ـ إقرارا له ـ في الفصل الختامي لهدا القسم وهو بعنوان حاتمة حول مفهوم المتوسط

[15] Richard W Bailey, History, in *Statistics and Style*, p 229

[16] نفسه ص 230

في حين أنّ "منهجها المتواصل هو استخراج الكلم الذي يظهر عدّة مرّات (حوالي عشر) في الألف كلمة في النّصوص المدروسة"[17] ويعلّق عليه بقوله "إنّ مثل هذه التّقنية هي بالأحرى وبالتّسمية الأنسبِ، عَدِّيّة أكثر من إحصائيّة"[18] ولكنّه مع ذلك وقبل أن يختم الحديث عن تجربة مايلر يلاحظ أثرها الكبير في جعل الطّرق الإحصائية تلقى قبولا متزايدا من ناقدي الأدب في أمريكا. ومن هذه التّجربة وغيرها بدا لنا أنّ استعمال أدوات إحصائية يسيرة وناجعة يؤثّر إيجابا في نزعات البحث الأسلوبي السّاعي إلى العلميّة ولهذا فإنّنا سنسعى في هذا البحث وفي ما يخص المجهود العربي، إلى الاعتناء بأعمال مؤسّسة في البحث الأسلوبي العربي وهي أعمال محمّد الهادي الطّرابلسي: *خصائص الأسلوب في التوقيعات* 1980 ومحمود المسعدي: *في الإيقاع في السّجع العربي: محاولة تحليل وتحديد*

ونجد أيضا مجموعة من الأعمال الأسلوبية المتمسكة فعلا بعلم الإحصاء وفي هذا النّوع تندرج بعض أعمال قيرو (Guiraud) وكوهن (Cohen) وكونراد (Conrad) تلك الأعمال التي تجعل الأسلوبية علما كمّيا مخصوصا. فقيرو يرى أنّ "الإحصاء هو فعلا علم الارتياحات ولما كانت حاله هكذا فإنّ الأسلوب ـ على الأقل في المعنى الذي تناوله هنا ـ هو بالتّعريف ارتياح"[19] كما أنّه يراه "ارتياحا يَحَدَّدُ كمّيا مقارنة بمعيار"[20] وعلى هذا التّعريف يبني كوهن تصوّره للشّعرية، فهي من هذا المنظور *أسلوبية* جنس، ولذلك فإنّه يمكنها أن تكون " علما كمّيا"[21] إذ بهذا التّعريف "يتأكّد تقارب ملحوظ بين الأسلوبية والإحصاء. فلمّا كانت الأسلوبية هي علم الانزياحات اللسانية والإحصاء هو علم الارتياحات العامّة فإنّه من الممكن تطبيق نتائج هذا على تلك."[22] وبطبيعة الحال فإنّ التصوّر الذي قامت عليه مثل هذه الأعمال هو المقصود بالبحث وسيكون أسّا من الأسس التي يقوم عليها بحثنا.

وإلى جانب هذه المجموعة من الأعمال نجد أعمالا أخرى أشد منها تمسكا بالإحصاء ولذلك فإنّه لما ذكر كل من لوبومير دولوجيل (Lubomir Dolezel) و ريتشارد بايلي (Richard Bailey) في نشر بعض هذه الأعمال سنة 1969 فقد نشراه تحت عنوان *"الإحصاء والأسلوب"* (*Statistics and Style*) معبّرا بتقديمهما للأداة على الموضوع عن اعتقادهما أنّه إلى حدّ مّا يمكن الادّعاء أو الطموح على الأقل إلى بناء نظرية مؤسسة

---

[17] نفسه

[18] نفسه

[19] Guiraud (Pierre), *Les Caractères Statistiques du Vocabulaire*, 1954, p 6

[20] Guiraud (Pierre), *Problèmes et Méthodes de la Statistique Linguistique*, 1960, P 19

[21] Cohen (Jean), *Structure du Langage Poétique*, 1966, p 14

[22] نفسه

لاستعمال الإحصاء أداة في البحث في الأسلوب بل وبناء نموذج رياضي خاص به. وذلك عين ما فعله لوبومير دولوجيل في بحثه الذي قدّمه في هذا الكتاب وعنونه بـ "إطار للتحليل الأسلوبي الإحصائي"[23]

وفي هذا الصّنف تدخل أعمال جورج يول وخاصّة *كتابه الدراسة الإحصائيّة للألفاظ الأدبيّة* وغوستاف هردن (Gustav Herdan) في كلّ أعماله وشارل مولّر (Charles Muller) وخاصّة عَمَلاه *مبادئ الإحصاء المعجمي*[24] و*مدخل إلى الإحصاء المعجمي*[25]

كما شاع مصطلحان يعبّران عن هذا الانتماء الصريح للإحصاء وهما الأسلوبية الإحصائيّة stylostatistics وما يمكن أن نسميه بعلم المقاييس الأسلوبيّة stylometrie. وسمّيت بهما البحوث الأكاديمية مثل أطروحة الباحث الفرنسي فيليب توارون Philippe Thoiron *حيوية النص والأسلوبيّة الإحصائيّة (Dynamique du texte et stylostatistique)*

هذه الأعمال في صميم اهتمامنا ولذلك فهي بعايتنا أجدر. وعليه فإنّ محتواها والنتائج التي حققتها والأسس النّظرية التي استند عليها تهمّنا وسنسعى إلى الاستفادة مما استند عليه من فرضيات وحقّقت من نتائج لا لتبنّيها والاعتقاد فيها وإنّما لوضعها تحت محكّ النظر والتّجريب في لغتنا وآثارها لأنّ هذه الأعمال وما حققت ليست، في نظرنا، مسلّمات وإنّما هي عندنا موضوع بحث ومحل نظر فمنطلقنا هو الأسلوب و غايتنا هي الأسلوب وكيف يكون للإحصاء فيه وجود طبيعيّ لا مفتعل بحيث يمكن أن نلتقي في المبدإ مع من حاول أن يؤسس نظريّا لمشروعيّة الصلة بين الأسلوبية والإحصاء طموحا بها إلى علميّة البحث الأسلوبي.

ولما كان الأسلوب يمثل الشق الأساسي في العلاقة المؤسسة لعملنا وجب إيلاء مفهومه عناية كبرى. وذلك لاعتقادنا أنّ ضبط مفهومه يدخل في صلب موضوعنا وأنّ حقيقته هي التي ستحدد ما إذا كان بالإمكان أن تنشأ بينه وبين الإحصاء علاقة مّا بل إنها هي المسؤولة عن تحديد طبيعة هذه العلاقة. ولو كان للأسلوب مفهوم واضح محدد المعالم لا خلاف فيه لما كانت العلاقة بينه وبين الإحصاء موضوع بحث أصلا. ولكنّ مفهوم الأسلوب مفهوم خلافي. والخلاف فيه قائم بين أهل النظر فيه من العربيين منذ نشأته عندهم. ويكفي دليلا على ذلك أن نذكر ندوتي إدنبرا 1958 وندوة باريس 1991. فكلتاهما التأمتا من أجل البت في ماهية الأسلوب وكلتاهما لم تستطيعا الحسم. بل إن بعض الدارسين يعتبر أنّ الأسلوب مجرد وهم ابتدعه خيال الإنسان. ولِمَ لا يكون القائل بهذا الرأي على صواب؟ لعلّه لمّا نظر في تعاريف الباحثين وفي محاولات ضبطهم للمفهوم لم يجد كيانا خاصا يمكن أن يسمى أسلوبا. وحتى إذا كان للأسلوب وجود حقيقيّ فإنّ السؤال الأساسي عندنا يبقى قائما وهو هل يحتاج الأسلوب للإحصاء وقد أنكر عليه كثير ممن ينتسبون إلى دراسته هذه الحاجة؟

---

[23] A Framework for the Statistical Analysis of Style

[24] *Principes de Statistique Lexicale*

[25] *Introduction à la statistique lexicale*

وعن هذه الأسئلة نشأت لدينا أسئلة أخرى بها تتأسس أطروحتنا وهي: لم لا نفرع السلة من كل ما فيها؟ و لم لا نعيد النظر في محتواها فنستقي الصالح ونترك ما لا نراه صالحا؟ و لم لا نقدر حاجة هذا المحتوى الصالح إن أردنا دراسته إلى علم يسمى الإحصاء؟ بل هل أنّ الأسلوب يمكن أن يتشخص فعلا دونها؟

اعتمدنا في الإجابة عن السؤالين الأولين على طريقة **القراءة المنتبهة الواعية الناقدة وجمع الملاحظات والاشتغال عليها بالترتيب والتصنيف والاستنتاج والتأويل**. وقد حرّتنا عملية المراجعة الطويلة الأنفاس إلى الاطلاع على أعمال كثيرة متنوّعة ممتدة عبر الزمن والجغرافيا والحضارات للإجابة على نقاط محددة من القضايا المطروحة. فقد نظرنا في خطابة أرسطو وفي ما أولاها له ابن رشد من عناية وفي أعمال شيشرون (Cicéron) وفي *المؤسسة الخطابية* (*L'institution Oratoire*) لكنتليان (*Quintilien*) وفي *معيار* ابن طباطبا و*منهاج* حازم القرطاجني و*مقدّمة* ابن خلدون ومؤسّسات كتاب *العين* والعروض العربية وفي محاولة ابن سنان الخفاجي لضبط الفصاحة وركزنا على محاولة السكّي لاعتمادها مبدأ إحصائيا ونظرنا في كل ما عثرنا عليه من أعمال حديثة لها صلة بقضايانا واستندنا استنادا قويا إلى جهتين علميين فريدين في حقل دراستنا خلال القرن العشرين وهما ندوة جامعة إنديانا سنة 1958 وندوة باريس سنة 1991 وقد كانتا مرجعين غزيرين من المعلومات وأما أعمال الأسلوبيين الإحصائيين مثل يول وهردن وموللر وتوارون فكانت دعامات أساسية لبناء آرائنا. ولكنّ ذلك لم يحل دونا والنظر في أعمال الأسلوبيين غير الإحصائيين أمثال ميخائيل ريفّتار (Michael Riffaterre) وستيفن أولمان (Steven Ullmann) وروجر فاولر (Roger Fowler) وهنري ودّوسان (Henri Widdowson) وديينس فريبورن (Dennis Freeborn) وفي نحوت من اعتبروا أسلوبيين ممثلين في شارل بالي (Charles Bally) وتلميذه مرسيل كريسّو (Marcel Cressot) وفي القريبين من النقد الأدبي ممثلين في ليو شبيترر(Léo Spitzer) كما كان للنحويين موضع بل مواضع في عملنا فمن العرب نذكر سيبويه والخليل ومن المحدثين دي سوسير (de Saussure) وهيلمسلاف (Hjelmslev) وياكبسن (Jakobson) ومارتني (Martinet) ومونان (Mounin)ولايونز (Lyons) وتشومسكي (Chomsky) وممن تأثروا به في المجال النقدي أوهمان (Ohmann)وفاولر (Fowler) ووجدنا في كتاب الإبستيمولوجي الفرنسي جيل قاستون قرانجي (Gilles Gaston Granger) *محاولة في فلسفة الأسلوب* (1968) ما اقتنعنا بتبنّيه وفي كتاب عالم الإدراك ستيفن بنكر (Steven Pinker) *غريزة اللغة* (1994) بعض من المعلومات الفاتحة لآفاق الفكر، المحرّكة للعقل من عقلته، وبعضا من الأعمال العربية ما اتصل بتشاغلنا فحاورناها واستفدنا منها، نذكر من الأسماء في هذا الموضع: محمد الهادي الطرابلسي ومحمود المسعدي وعبد القادر المهيري والطيّب البكوش وعبد السلام المسدي.

وقد أثّرت موجة الدراسات الأسلوبية الإحصائية في البحث الأسلوبي العربي. وكان لهذا التّأثر قصته فقد نشأت عنه معارضة بل خصومة بلغ فيها كل طرف عن موقفه. وقد استجود هذا المنهج على باحث

عربي هو سعد مصلوح وتجلّى ذلك جاصّة في أعماله . *الأسلوب دراسة لغوية إحصائية* و*في النّص الأدبي: دراسة أسلوبية إحصائية* وغيرهما من المقالات فعرضا هذه الأعمال وأوليناها من الجهد ما هي به جليقة.

وقد وجدنا أنفسنا ـ **ونحن ننظر في كيفيات تأسس هذا المنهج** ـ نجوس في شعاب أعمال علمية تستند إلى الإحصاء وإن كانت عموما جديثة العهد فهي تنهل من منابعها الخاصة وتجيل على أعمال سابقة عليها ناشئة في ترنتها ليس للمجهود العربي فيها أدنى نصيب. وهذا الأمر أشعرنا بالجيرة والغبن وأرّقنا ودفعنا إلى البجث في تراثنا سعيا لتأصيل هذا الفنّ. وانتهى بنا التجوال إلى أن لاجظنا من جلال اهتمامنا باستعمال العدّ والعدد في مجال الدّرس اللغوي أنّه يوجد في التراث العربي مجالان لغويان نلغا نتائج نابتة باعتماد أسس رياضية إجصائية لأوّل مرّة في التاريخ البشري المعروف قبل أن يكون لهذا العلم اسم وهما العروض وما نجم عنه من بجث في تماير الكلام باعتماد جصيصة واجدة هي اجتلاف توزيع المتجرّكات والسواكن، ومعجم الغين وما نجم عنه من بجث في الفصاجة. فضممنا كلّ هذا إلى مدوّنتنا ورأينا أنّه يليق بعملنا أن يوضّح هذه الرّيادة لا لكونها ريادة فجسب ولكن لكونها تدجل في العمل الرّياضي الإجصائي اللساني وهو يمثّل أسّا للعمل الأسلوبي بل هو جزء منه لا يتجزّأ. ولمّا كانت مرلته كذلك فَلِمَ لا يكون أساسا لبناء البجث الأسلوبي الإجصائي العربي؟ ولم لا يؤصّل الدرس الأسلوبي اليوم في ترنته الأولى؟ بل إنّ العمل المعجمي لما انتهى إلى البجث في الفصاجة وقوانينها انتهى إلى البجث في الأسلوب وكذلك الشأن في البجث العروضي عندما انتهى إلى أنّ التفريق بين الشعر والنثر يرجع إلى علامات شكلية وهي توالي المتجركات والسواكن وهي أمور قابلة للتقدير الإجصائي فقد انتهى أيضا إلى الأسلوب.

بعد أن تمّ لنا بناء مفهوم واضح للأسلوب ونظرنا في المسالك التاريجية التي دجل الإجصاء بها إلى مجال البجث الأسلوبي في الغرب أوّلا وعند العرب المعاصرين ثانيا وبعد أن قسمنا النظر في ذلك إلى بعض متغيّرات الأسلوب الأساسية كما طرقها الباجثون فيه، وبعد أن صعدنا إلى التراث العربي الأصيل الذي وجدنا فيه أول جمع جقيقي بين الرياضيات باعتبارها أداة واللغة باعتبارها موضوعا جيث خططنا الرجال في مجالين هما: أوّلا العروض وصلته بالأجاس الأدبية، وثانيا طريقة تأسيس الجليل لمعجمه وما نشأ عنها من بجث في الفصاجة وتقييمها بأشكال رياضية إجصائية، بعد كلّ ذلك رأينا أنّ تأسيس العلاقة بين البجوث العربية اللغوية الرياضية القديمة والبجث في الأسلوب في زماننا هذا لا يكون مجديا فعلا إلاّ إذا لم نكتف في بثنا بمجرّد عرض المجهود القديم الأصيل والإشارة إلى علاقته بمجال البجث في الأسلوب بل لا بدّ لنا من عمل تطبيقيّ ماسب نقيم به الدليل على صلابة مفهوم الأسلوب الذي انتهينا إليه وإن كنّا تريّثنا فيه طويلا في القسم النظري وجصّناه بالججج الداغمة.

وعن هذه الرغبة في التأسيس والإقناع بججة الناء النظري داته وبالمثال نشأ القسم الثاني من أطروجتنا وهو القسم التطبيقي. وعن ذلك نشأت الجاجة إلى مدوّنة تطبيقية وهي المدوّنة الثانية. وقد صممنا عملنا

التطبيقي إلى صنفين: صنف **تحقيقي** في مختلف الأحكام العربيّة القديمة التي تطمح إلى أن يتأسس عليها النحت العربي الأسلوبي الإحصائي المستقل. وصنف يهدف إلى تبيّن نجاعة الأداة الإحصائية في تشخيص بنية القول الأسلوبية.

* - في الصنف التحقيقي اعتنينا بالنظر في ما يمكن أن يعتبر أحكاما عامّة انتهى إليها النحت العربي القديم وهي قانون الفصاحة المعجمية والفصاحة الاستعمالية وتماير الأصناف الكلامية على أساس اختلاف توزيع السواكن والمتحركات في سلسلة الكلام.

* - وفي الصنف الثاني تناولنا الإشكالية الأمّ في أطروحتنا - ونعني بها طبيعة العلاقة بين درس الأسلوب وعلم الإحصاء - في شكل تطبيقي واحد سعينا به إلى الكشف عن جدوى الأداة لا في دراسة الأسلوب فحسب ولكن في التدليل على حقيقته أيضا

وقد رأينا في القسم التحقيقي الأول أنه بعد عرض الفرضيات العربية يحسن لتحديدها وإحيائها تبيّن صحتها وجدواها العملية. ورأينا أنّ ذلك لا يكون إلا بمنهج إحصائي مجايد. فأجرينا للنوع هذه الغاية إحصاء كاملا للمادة الثلاثية الواردة في مداخل *لسان العرب* وورعنا تلك المداخل إلى مجموعات حسب مدارج حروفها وكثافة كل تقليب تمّ درسنا نزعاتها إحصائيا. وأما في تبيّن حقيقة النزعات الاستعمالية في الكلام فقد أجرينا إحصاء للجذور الثلاثية في مدوّنة موسعة من الشعر الجاهلي وقارنا بين نتائجنا في المعجم ونتائجنا في الاستعمال. وأما في الفرضية الثالثة وهي فرضية الحركات والسكنات فقد اخترنا أن تكون عيّناتنا من القرآن الكريم ومراسلات الرسول والشعر الجاهلي وكتاب سيبويه وكتابيْ ابن المقفّع: كليلة ودمنة والأدب الكبير. وهذا هو نصيب الشق الأول من التطبيق وهو عبارة عن تحقيق في مدى صحة فرضيات قديمة.

وأما في الشق الثاني فإننا بعد أن نظرنا في مختلف الأنواع الإحصائية الأسلوبية في النحوت العربية تخيّرنا منها نوعا واحدا. هذا النوع الذي فضلنا أن نجري تطبيقنا الاختياريّ عليه هو الإحصاء المعجمي. وقد ارتضيناه من دون غيره لما عرف بشأنه من تنوّع تطبيقاته ومضمون ثمراته ولمناسبته دراسة الأساليب خاصة. وترددنا في نوع النزات العربي الأنسب لعملنا: النثر أم الشعر؟ القديم أم الحديث؟ واستقر بنا الأمر على النوع الأول؛ الشعر الجاهلي. كما أننا تخيّرنا إزاء قضية تفصيلية تتعلق بالعينة: ما حجمها حتى تكون ممثلة للكون الإحصائي؟ وهنا تدخّل في توجيه اختيارنا عنصر آخر وهو رغبتنا في الاستفادة القصوى من إحصائنا لا في النتائج المرسومة لهذا العمل وحده ولكن فيها وفي غيرها. وقد حرّ فينا أن نجد كثيرا من الإحصاءات الملتهمة للوقت محدودة الجدوى كثيرة الفضالة أو أنها تستعمل مرّة وتلقى في سلّة المهملات وإلى ذلك يضاف أنّ القارئ لا يُمَكّن من المادّة الإحصائية الخام لأنها عديمة الجدوى خارج ذلك الإحصاء ولأنّ إلحاقها بالعمل يثقله. ولكن النتيجة هي أنّ القارئ يجد نفسه مضطرّا إلى التسليم بزاهة الباحث ولا يستطيع أن يحقق في صحة دعواه من أصولها العدّية الأولى وهذا عيب شائع في عالم الأعمال الإحصائية.

ورأيا أنّ حل هده المتاقصات يتمّ باحتيار عيّة متعددة الاستعمال ولدلك اقتطعا من التعر الجاهلي ما وسعت طاقتا؛ عيّة تكتسح معطمه: تعر عيد بن الأبرص وامرئ القيس وطرفة بن العبد والحارث بن حلّزة وعمرو بن كلتوم وعنترة العبسي وزهير بن أبي سلمى والأعشى الكبير. وأحريا على هده العيبة الواسعة حردا معجميا لم يستثن مه إلا الوحدات النحوية: الحروف والنواسخ والطروف الجامدة. وعملنا على أن نرتب مادّتها ترتيبا تصلح به لعايتنا الأولى وهي القاعدة الإحصائية التي نريد الاشتغال عليها لتيّس أسلوب التعر الجاهلي في بعده المعجمي، وجعلناها ملحقا أساسيا من ملاحق البحث. كما أنه يمكن تعديل مناسب أن تستخدم لغايات أخرى.

ولما كان عملنا من قبيل الأعمال المتعددة الاختصاص فقد استندنا في التدرب على المنهج الإحصائي إلى كتب الأسلوبيين الإحصائيين وقد كانوا يرفقون أعمالهم بتوضيحات رياضية وخاصة بول (1944) ومارغريت برونو أبياس (1971) ودوقاست (Daniel Dugast 1980) وأندري كوسات (André Cossette 1994) واعتمدنا أيضا مراجع مختصة وهي *الإحصاء* لهنري قطّون (Henri Guitton) و*عناصر الرياضيات المعاصرة* لموسى ريتشاردس (Moses Richardson) في نسخته الفرنسية (1968) و*مبادئ الإحصاء في التربية وعلم النفس* لعبد الرحمان عدس (1972) و*الإحصاء وطرق تطبيقه في ميادين البحث العلمي لأنيس كنجو* (1977).

نريد أخيرا أن نسجّل أنّ لهذا البحث أصولا نشأ منها وأفكارا أولى احتمر فيها ومحيطا سمح له بالتحقق. فقد كانت لنا ميول محتشمة للسانيات ولشرح النص شرحا لسانيا وكانت لنا نظرة احترام لمتعاطيها من أساتذتنا لما بدا لنا من تقيّدهم بالوقائع النصية، منها ينطلقون وعليها يبنون في لغة تخاطب العقل أوّلا. وقد كُتب لهذه الميول أن تتمكن بدراستنا للإنقليزية وحصولنا على الإجازة فيها سنة 1994.

وفعلا فقد كان لدراسة الإنقليزية دور في اختيارنا الموضوع وكان لأستادنا المشرف دور الحسم في هذا الاختيار. فقد كنّا متأرجحين بين أن يكون موضوعنا إمّا في الضمائم اللسانية (collocations) نظريا وتطبيقيا، وهو أيضا موضوع شريف، نعتقد إلى اليوم أنّه جدير بأطروحة مستقلة، وإما الأسلوبية الإحصائية إذ كان الأستاذ محمد الهادي الطرابلسي يحمل همّ هذا البحث من قبل أن نحمله. ولهذا ألقى علينا مهمّة الخوض في قضية الأسلوب والإحصاء معتبرا دراستنا للإنقليزية، من وجهها الأصح أي الدروس الأكاديمية المنظمة، عنصرا مفيدا في هذا المشروع.

فانطلقنا في شعاب هذا العمل المعقد منذ عشر سنوات كان جهدنا فيها متفاوتا. ولكن منذ سنة 1999/2000 صار هذا البحث شغلنا الشاغل ونديمنا نهارا وليلا، وقصرنا النظر عن كل شيء عداه.

فقد أعددنا قبل هذا التاريخ الإحصاء الأول لأصول لسان العرب الثلاثية وصنفناها تبعا لأصولها باعتبار انتمائها إلى أحد المدارج أعلى وأوسط وأدنى، وهي تنتئ سبعة وعشرين تقليبا ممكنا. ونزلنا ذلك في الحاسوب وهو عمل متعب ومفيد ولكنه ليس بشيء أمام إعداد المدوّنة التطبيقية الأساس والتي شرعنا فيها سنة

1999 واستغرقت حولين من الجهد المضني. وهذه المدوّنة عبارة عن تحويل دواوين الشعراء التمانية المذكورين إلى اثنتين وثمانين وستّ مائة وستّ وثلاثين ألف حذاذة (36682) تحوي كلّ حذاذة وحدة لسانية معجمية واحدة مصحوبة بكلّ المعلومات اللازمة لمعرفة قائلها وموضعها ثمّ إنّنا بعد ذلك رتّبناها ترتيبا ألفبائيا على غرار المعاجم ليتيسّر استخدامها ثمّ استخرجنا منها قاعدة إحصائية برمجناها في برنامج إكسيل 5.0 ليسهل استخدامها في مختلف الأغراض الإحصائية وسمّيناها **القاعدة البيانية الأساسية الإحصائية المتعددة الوظائف**. كما أنّنا استخرجنا منها قاعدة إحصائية أخرى وهي الأصول الثلاثية الواردة في المدوّنة مورّعة حسب مدارج مخارجها لاستعمالها في مقارنة مواد المعجم العربي باستعمالاتها.[26]/[27]

تمّ دخلنا القسم التطبيقي معتمدين على ما أعددنا من إحصاءات ضمنت استقلالنا عن غيرنا ممن اهتموا بمجال الإحصاء الأسلوبي وسمحت لنا بالتدليل على ما ذهبنا إليه في القسم النظري. ولم يبخل علينا الأستاذ المشرف في كل مرحلة بالقراءة المتأنية والملاحظات المناسبة والنصح الخالص حتى اكتمل البحث فله الشكر الجزيل على البدء والختام.

وتفضل الأستاذ عبد القادر المهيري بقراءة الجزء النظري من عملنا قراءة ناقدة متميّزة استفدنا منها في تجويد عملنا شكلا ومضمونا. فله منا خالص الشكر على ما بذل من جهد

[26] تمثل هذه الإحصاءات الثلاثة الملاحق 1 و2 و3

[27] وقبل فترة النشاط المكثف هذه، وبعدها، وخلالها أيضا، ما فتئنا نقرأ ونتدارس كل ما يتصل بما يسمى أسلوبا وإن اختلفت مقاصد أصحابه، ونسجل ملاحظاتنا بإزائه، ونكوّن لنا تصوّرا خاصا متماسكا وما إن بدأت سنة *2001* حتى أحدث السل تشققا أمامنا، وكنا كمن كان في نفق دامس وما إن انتصفت هذه السنة حتى دفعنا إلى الأستاذ المشرف بالقسم النظري من عملنا

القسم النظري

الفصل الأول: في مفهوم الأسلوب

الفصل الثاني: الأسلوب؛ مسالك تأثر دراسته بالإحصاء

الفصل الثالث: الأسلوب؛ مقوماته اللغوية وتراتبيتها الشكلية ومناهجه الإحصائية عند الأسلوبيين الإحصائيين

الفصل الرابع: تأصيل المنهج الرياضي الأسلوبي في التراث العربي

الفصل الأول: في مفهوم الأسلوب

I ــ مدخل

من المعقول والمتوقّع أن يتبادر إلى ذهن القارئ المطّلع هذا السّؤال: مادا عسى الباحث أن يضيف إلى هذا الرّكام الحائر المحيّر من الأعمال في حقل الأسلوب والأسلوبية؟[28]. كيف لا والحال أنّ بعض المعتنين بشأن الأسلوب والأسلوبيّة يقول بأنّ: "مناقشة الكلمة 'أسلوب' لو تتبعاها بحريء من الصّرامة العلميّة فحسب لعطّت لا محالة كامل جماليّة الأدب ونظريّة النّقد"[29] وقد نظّم جورج موليي (George Molinié) وبيار كاهني (Pierre Cahné) ندوة خلال التاسع والعاشر والحادي عشر من أكتوبر سنة 1991 ضمتّ مختصّين من مختلف الجامعات الفرنسية وغيرها وهي جامعة لوران وبروكسال وأمستردام وميونيخ وكولومبيا ممثّلة في الأسلوبي المعروف ريفاتار للإجابة عن سؤال واحد واضح وهو: ما الأسلوب؟[30] غير أن كلّ مشارك تناول قضيّة ما من قضايا الأسلوب والأسلوبيّة و لم تجتمع آراؤهم على مفهوم واحد للأسلوب. وكما قال بيار لرطوماس(Pierre Larthomas) في توطئته لأعمال الندوة فإنّ "كلّ كاتب ـ وقد أرجئت الإجابة عن السّؤال المطروح ـ عالج، والعناوين دالة على ذلك، المشكل الذي بدا له مهمّا."[31] و لم يكن لقاء هؤلاء المختصّين اللقاء الأول السّاعي إلى ضبط الأسلوب والأسلوبية فقد سبقته النّدوة المتعدّدة الاختصاصات التي نظّمت سنة 1958 بالاشتراك بين هيأة البحث العلمي الاجتماعي وجامعة انديانا وتمثّلت في "محاولة مجموعة من العلماء من اختصاصات متعدّدة أن يسلّطوا قدراتهم المعرفية على مشكل واحد هو طبيعة الأسلوب في الأدب وخصائصه."[32] غير أن هذه النّدوة التي كانت بعنوان 'الأسلوب في اللغة' (Style in Language) والتي ضمت قادة البحث في الأدب والنّقد وعلم النّفس واللسانيات العامّة والشّعرية لم تحقق في عين أحد المساهمين فيها في تقريره الختامي لها كامل الغرض المطلوب إذ أنّه يقول: "لقد اندهشتُ لحقيقة أنّ قضية الأسلوب لم تناقش أصلا إذا قيست بالمجهود العظيم الذي صرف فيها مدّة قرون أو حتّى بنظريات ممارسي الأسلوبية المعاصرين الكثيرين ومناهجهم ممن ترد على ذهن كلّ طلاب الأدب أسماؤهم."[33] ومما قد يدلّ على مراوحة البحث خطاه في نفس الموضع أنّه بعد ثلاثين سنة من صدور أعمال هذه الندوة يصدر كتاب **بنفس العنوان**[34] للفرنسي جان ميشال أدام (Jean-Michel Adam)،

---

[28] ذكر ماروزو Marouzeau سنة 1959 في الدّفاع عن الأسلوب والأسلوبية أنه سنة 1953 ـ 1954 أصدر هاتزفيلد Hatzfeld مؤلّفا بعنوان "بيليوغرافيا نقدية للدّراسات الأسلوبية المعاصرة تشتمل على ما لا يقلّ عن 2045 عنوان، دون اعتبار بيليوغرافيا اللغات السلافية المنشورة بموسكو سنة 1954

[29] Enkvist, *Linguistics and Style*, Mouton, 1973 p 10 وقد نقل هذا الرّأي وتبنّاه عن *The Problem of Style* Oxford Paperbacks, 1960, p

[30] هذا السؤال هو نفس السؤال الذي طرحه تيرن قراي Bennison Gray سنة 1969 في صدر كتابه *Style, the Problem and Its Solution*

[31] *Qu'est-ce que le style?*, PUF, 1994, p 2

[32] John W Asthon, Foreword, in Thomas Sebeok,ed , *Style in Language*, 2nd pr 1964, p v

[33] René Wellek, Closing Statement, in Thomas Sebeok,ed , *Style in Language*, 2nd pr 1964, p 408

[34] *Le Style dans la langue*

ولذلك فدعوةٌ لاستعداد هذا القارئ نقول: إن عنوان فصلنا هذا (في مفهوم الأسلوب) مقيّد بموضوع بحثنا أي **الأسلوب والإحصاء** ولا نعني فيه بما لا يخدم عرض الموضوع فهو مقصور أساسا على أمرين:

- أوّلهما طرق كل السبل لضبط مفهوم للأسلوب يحرره من التبعية التاريخية لاختصاصات متعددة ورسم مفهومه رسما له من قوة التماسك المنطقي ما يجعله يصمد أمام الاختبار النقدي.

- وثانيهما محاولة إخلاء ما يمكن أن يكون له من صلات بفنّ الإحصاء؛

ولذلك فإنّنا سنعمد، ونحن نسعى إلى تبيّن ما الأسلوب، إلى طريقة تخلية النقائص وإزاحة ما تبيّن نقصه أو تناقضه. ونحن نفعل ذلك في تدرج من الأقرب إلى القريب إلى البعيد فالأبعد، حتّى لا يبقى بين أيدينا إلاّ ما صمد لمختلف الطعون

أوّل ثمرة لهذا المنهج تمثّلت في إسقاطنا من الاعتبار لثلّة من التعاريف. فإنه بسبب من كثرة التّعاريف وتباعد زوايا نظرها من جهة، وتراكمها من جهة ثانية وانصراف اهتمامها من جهة ثالثة إلى مجال محدّد فإنّنا لا نشتغل بتلك التعاريف التي "تماهي الأسلوب بالوجود أو الفكر" "[35] أي تلك التّعاريف التي ترى الأسلوب شيئا عامّا قريبا من التّجريد والغيب أو هي تعرّفه في صورة تقوم على تشبيه أو استعارة يُترك للقارئ فيها حرّيّة التأويل وعبؤه بما في ذلك تحمّل تبعاته أو هي تشير إلى متعلّق من متعلقات الأسلوب مثل نوع الأساليب اللامحدود. ومن أمثلة هذه التّعاريف:

* "الأسلوب بالنّسبة إليا تصرّف في الوجود، طريقةُ كيانٍ" هنري موريي (Henri Morier)

* " فعلا ليس الأسلوب واسطة شفّافة غير مرئيّة ولكن مثلما قال غورمان (Gourmont) الفكر نفسه في ذاته. هو تحوّل معجز لجسم روحانيّ لا يسلّم إليا إلاّ في التّشكل الذي يمكن فيه أن نتقبّل ذلك الجسم ونتشرّبه" هافلوك إلّيس(Havelock Ellis)

* الأسلوب في أبسط تجلّياته، لطف متكلّف، هو سعي لنيل الخطوة بالسّيرورة التّنويمية أو الإيحائيّة المتمثّلة في نقول ما يسعي أن يقال" كِنّت بورك" (Kenneth Burke)

* الأسلوب هو القدرة على أن تحرّك بدقّة يسيرة رشيقة أيّ بوطة في السّلم النغمي للفكر والشّعور البشريين"[36] السير أرثور كويلّر كاوتش(Sir Arthur Quiller Couch)

*"الأسلوب هو ميزة طبيعيّة مثل نعمة الصّوت" كلود (Claude)

* "الأسلوب - ومن الأساليب ألف نوع - لا يُتعلّم فهو هبة السّماء إنّه الموهبة" شاتوبريان (Chateaubriand)

* "لفظ أسلوب يفيدنا في الإشارة إلى الموقف الذي يتّحده الكاتب تجاه المادّة التي تحملها إليه الحياة"[37] هرتزوغ (Hertzog)

---

[35] Nils Erik Enkvist, *Linguistics and Style*, p 11

[36] التعاريف الأربعة الأولى أوردها انكفيست في هامش المرجع أعلاه

كما أنّ تعريف بوفّون (1707 - 1788): "الأسلوب هو الإنسان نفسه"[38] إن أحد عاريا، لا يفصل ما سبق من التّعاريف لأنّه بمعادلته بين الأسلوب والإنسان لم يُعِن على تبيّن موضوع الدّرس: أهو الإنسان أم شيء آخر؟ وحتّى إن كان الإنسان فمن أيّ وجه؟ وكيف؟ وبهذا فهو يشترك مع التّعاريف السّابقة في كونها لا تشير إلى شيء محدّد يمكن أن يكون موضوع بحث موضوعي. ثمّ إنّ هذا التعريف، إن أحدناه في سياقه، وجدنا أنّ الدّارسين من بعده قد أزاحوه عن مقصده الأول إذ في الأصل لم يكن بوفّون يعني ما ذهب إليه الرومنسيون بعده من أنّ الأسلوب هو دليل على صاحبه من جهة عبارته الفريدة. ما قصده بوفّون هو أنّ الأسلوب ليس إلاّ النظام والحركة اللتين يضعهما الكاتب في أفكاره[39] "وهو مشروط بوحدة الأثر وبتخطيطه وتنظيمه."[40] ويرون قراي Bennison gray يُرجع هذا التعريف إلى الأطروحة القروسطية القديمة الناشئة عن تطويع الخطابة للأدب القائلة بأنّ الأسلوب هو ما زيد على المضمون أو هو تلك الزينة التي يتحلّى بها المضمون.[41] وفي هذا بعض الصواب إلاّ أنّ هذه الأطروحة القديمة وهي ليست وليدة القرون الوسطى كما يذهب إلىذلك سيرون قراي وإنّما تجدها منذ الفترة اللاتينية الأولى وهي تتأسس على تزايد المحسنات والزينة في العبارة ذاتها بينما يميل بوفّون إلى تركيز الأسلوب في القسم الثالث من الريطوريقا الأرسطية أي التنظيم. بل إنّه صرّح بذلك عندما قال: "الأفكار وحدها تكوّن حقيقة الأسلوب وأمّا تناسق الكلام فليس سوى مكمّل "[42] كما يتحدّث بوفّون عن خلود الأعمال بأسلوبها إن كان جميلا لأنّه بذلك يصير حاملا للحقيقة وهي وحدها الخالدة. ولكن ما الحقيقة؟ وكيف يمكن أن نكتشف النقاب عن هذه الحقيقة الخالدة؟ ذاك ما لا نعرفه وهل الجميل جميل في كل زمان ومكان؟ ذاك ما لا نعتقده. وما يهمّنا هنا هو أنّ أفكار بوفّون بعيدة أشواطا عمّا صار تصوّرا جاهزا يلهج به الناس تأسيسا على عبارته المشهورة. وقد سطا الرومنسيون على العبارة لأنّها ناسبت دعواهم بأنّ طرافة العمل الإبداعي وتفرّده من طرافة المبدع وتفرّده.

وزبدة القول أنّ عبارة بوفّون لاقت في جماعات البحث منزعا خاصا يجعل الأسلوب دليلا على صاحبه بما في عبارته من خصوصية فردية، فلاقت بذلك رواجا وشرحت على النحو الذي يريده بعضهم اليوم. ومن بين من فعل ذلك باحثون مشهورون، منهم ريفّاتار الذي انطلق من هذه العبارة، وقد افتتح بها مقالا له، فقال: " قال بوفّون كلّ شيء... ولكن إن قيل كل شيء فإنّ كلّ شيء يحتاج إلى شرح."[43] وهو لا يتساءل عن

---

[37] Marcel Cressot, *Le Style et ses techniques*, PUF, 13e ed 1991, p 17

[38] التعاريف الثلاثة أوردها *Grand Dictionnaire des Lettres* في مادّة Style

[39] P Guiraud et P Kuentz, *La Stylistique*, Klincksiek, Paris, 1978, p 4 من

[40] تعليق فيرو على حدّ بوفّون ص 6

[41] Bennison Gray, *Style, the Problem and its Solution*, p 39

[42] Michel Le Guern, Sur la place de la question des styles dans les traités de rhétorique de l'âge classique, in-*Qu'est-ce- que le style?* PUF, 1994, p 183

[43] Riffaterre, L'inscription du sujet, in *Qu'est - ce que le style?*, p 283